

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا ميرزا مسرور أحمد أيداه الله تعالى بنصره العزيم
الحليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٢/٠٢/١٠

في مسجد بيت الفتوح بلندن



أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

نقرأ سورة الفاتحة في كل صلاة، وقد وردت لها أسماء كثيرة في الأحاديث
وذكرت فضائلها أيضاً. ومن أسمائها "سورة الصلاة" أيضاً، وقد ورد ذلك في
رواية. وهناك رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ (مسلم).. أي في نصفها
ذكرت صفات الله تعالى وفي النصف الآخر دعاء من العبد. فهذه هي أهمية

هذه السورة. ويجب على كل من يقرأها في الصلاة أن ينتبه إليها ويتأمل في صفات الله تعالى ليستفيد منها أكثر فأكثر. ويجب عليه أيضا أن يقرأها بكل إمعان وتعمق في كل ركعة في الصلاة من أجل الاستفادة من الأدعية التي وردت فيها. وإضافة إلى ذلك يجب دائما الانتباه أيضا إلى أن لهذه السورة علاقة متينة مع هذا العصر الذي هو عصر المسيح الموعود عليه السلام. وهناك في الصحف السابقة نبوءة عن سورة الفاتحة وهذه النبوءة تتحدث عن هذا الأمر، كما أن مضمون الفاتحة نفسها يشير إلى الإنعامات المنوطة بزمن المسيح الموعود عليه السلام وإلى طريقة الحصول عليها، وينبئ من الشر والضلال المنتشر في ذلك الزمن وطريقة تجنبه. فمن هذا المنطلق يجب على المسلمين المعاصرين أن يعيروا هذا الأمر اهتماما خاصا. ولكن لسوء الحظ إن المشايخ المسيطرون فكريا على الأمة إلى درجة أنهم قضوا على قدرتهم على التفكير فلم تعد الأمة مستعدة للانتباه إلى هذا الأمر. فإن أغلبية المسلمين لا يريدون أن يفكروا في هذا الموضوع. ولكن هناك عدد لا بأس به بفضل الله تعالى منهم الذين يفكرون ويتدبرون ويدركون ضرورة المسيح والمهدي. ذلك أن الذين وقعوا في شرك المشايخ المزعومون يدفعونهم إلى الشر والضلال. وكل مسلم يتألم قلبه من أجل الإسلام يشعر ويقول بأن الشر والشرك والضلال منتشر في كل مكان، كما نرى هذه الأشياء منتشرة فعلا، لذا هناك حاجة إلى عبد خاص من الله تعالى. فإذا كان هذا الشعور والإحساس موجودا فلا بد من البحث عن هذا العبد أيضا، إذ من الممكن أن يكون هذا العبد قد جاء. والحق أن هذا العبد الخاص لله تعالى قد جاء فعلا، ولكن الأغلبية من المسلمين ليست جاهزة

لقبوله إما نتيجة أتباعهم المشايخ أو نتيجة الخوف. فينبغي للمشايخ وعمامة الناس أيضا أن يطلبوا الهداية من الله تعالى ويجب أن ينبذوا التعنت والعناد. على أية حال، نحن مكلفون بمهمة تبليغ الدعوة ولسوف نستمر في أداء هذه المسؤولية في كل الأحوال وسنواصل عملنا. ولكن إلى جانب ذلك علينا نحن الأحمديين الذين ننتمي إلى المحب الصادق للنبي ﷺ أن نسعى جاهدين لازدياد علمنا ومعرفتنا ويجب أن نسعى للاستفادة من مضامين سورة الفاتحة أكثر فأكثر. لقد شرح المسيح الموعود ﷺ لنا هذه السورة العظيمة في كتبه بأساليب مختلفة، ولا شك في أن هذا يضعنا أمام مسؤولية أن نسعى جاهدين لفهم مضامينها، وإدراك معارفها لنطبق تلك المضامين والمفاهيم في حياتنا ونستفيد منها حق الاستفادة. والآن سوف أقدم لكم بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود ﷺ عن الآية الثانية من سورة الفاتحة.. أي الآية: "الحمد لله رب العالمين" التي تأتي بعد "بسم الله الرحمن الرحيم" وسأشرح كيف بين ﷺ المفاهيم الكامنة في هذه الآية بأساليب مختلفة. لقد اقتبست بعض المقتطفات من كلامه ﷺ عن هذه الآية وهي تحتوي على بعض الجوانب من الكنوز العلمية والروحانية المكونة في هذه الآية التي أشار إليها المسيح الموعود ﷺ. لا شك أن هناك مقتبسات أخرى كثيرة أيضا التي قراءتها تزيدنا عرفانا ومعرفة، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى تلك المعارف العميقة بسماعها مرة واحدة، بل هذا مستحيل تماما. لذا لا بد من أن يقرأها المرء بنفسه لفهم تلك المعارف. عندها فقط يمكننا أن ندرك ونفهم تلك الكنوز الروحانية ونستفيد منها.

لقد فسّر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام "الحمد لله رب العالمين" بالإيجاز فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي جميع المحامد متحققة في ذلك المعبود الحقيقي الجامع لجميع الصفات الكاملة الذي اسمه "الله" (أي كل أنواع الحمد والثناء تتحقق لله تعالى). لقد الجامع لجميع الصفات، وإن الله وحده يتصف بجميع الصفات الكاملة). لقد بيّنتُ من قبل أن "الله" في مصطلح القرآن الكريم هو اسم ذلك الذات الكامل الذي هو المعبود الحق والجامع لجميع الصفات الكاملة والمنزّه عن جميع الرذائل، (أي هو جامع جميع الصفات الحسنى، ومنزه من كل أنواع الضعف والنقائص والصفات الرديئة) وهو واحد لا شريك له، وهو مبدأ جميع الفيوض.. (أي تصدر منه جميع أنواع الفيض). ولما كان الله تعالى قد وصف اسمَه "الله" في كلامه المقدس -القرآن الكريم- موصوفا لسائر أسمائه وصفاته الأخرى.. (أي أن الاسم "الله" يشمل جميع صفاته الأخرى، إن الاسم "الله" هو الوحيد من أسمائه الذي توجد فيه جميع صفاته تعالى) ولم يجعل لأبيّ من الأسماء الأخرى هذه المنزلة، لذا فإن الاسم "الله"؛ يدل على كافة الصفات التي وُصف بها لكونه متصفا بجميع الصفات ولأنه قد جُعل موصوفا لجميع الأسماء والصفات، لذا تعيّن مدلوله أنه يشمل جميع الصفات الكاملة. (إن اسم الله هذا يشمل جميع الصفات على أكمل وجه) فملخص "الحمد لله" هو أن كافة أنواع الحمد ظاهرية كانت أم باطنية أو باعتبار الكمالات الذاتية أو عجائب القدرة خاصةً بالله تعالى ولا شريك له فيها. وكذلك إن جميع المحامد الصحيحة والكمالات التامة التي يمكن أن يتفكر بها عاقل (أي كل ما يمكن من الحمد الصحيح والثناء وكل المزايا الكاملة التي يمكن أن يفكر فيها

أي عاقل) أو يمكن أن تخطر ببال متفكر كلها موجودة في ذات الله تعالى. وليس هناك ميزة يمكن أن يشهد العقل بإمكانية وجودها ويكون الله محروماً منها مثل الشقي. (أي لا يمكن أن يكتشف الإنسان بعقله أي ميزة ويكون الله محروماً منها كإنسان شقي) فلا يسع عقل عاقل أن يكتشف ميزة لا توجد في الله، (إن تفكير الإنسان محدود إذ لا يدركه ولا يحيط بتلك الصفات) بل مهما فكر الإنسان بمازايها فإنها موجودة كلها في ذات الله تعالى، وهو حائز على الكمال في ذاته وصفاته ومحامده من كل الوجوه، ومنزه من الرذائل كلها على أكمل وجه. (البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، صفحة ٣٦٤-٣٦٥)

لهذا قد علمنا النبي ﷺ دعاء: "أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجرٌ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم منها، من شرِّ ما خلقَ وذراً وبرأً" (الموطأ).

فالإنسان لا يمكن أن يحيط بصفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى. ثم يقول ﷺ في بيان معاني "الحمد" بعد هذا التفسير الموجز لـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾: "اعلم أن الحمد ثناء على الفعل الجميل لمن يستحق الثناء، ومدح لمنعم أنعم من الإرادة وأحسن كيف شاء. (أي إنما يُحمد من يُنعم ويعطي بإرادته وبحسب مشيئته، ومعلوم أن مشيئة الله هي وحدها النافذة) ولا يتحقق حقيقة الحمد كما هو حقُّها إلا للذي هو مبدأ لجميع الفيوض والأنوار (أي يصدر منه كل أنواع الفيض)، ومُحسن على وجه البصيرة، لا من غير الشعور ولا من الاضطرار (فهو يُنعم ويمنّ بعلمه الكامل، فلا يمنّ على أحد دون شعوره أو بدافع الاضطرار)، فلا يوجد هذا المعنى إلا في الله الخبير البصير، وإنه هو

المحسن ومِنهُ المِنَّ كُلُّهَا فِي الأَوَّلِ والأَخِيرِ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتِلْكَ الدَّارِ، وَإِلَيْهِ يَرْجَعُ كُلُّ حَمْدٍ يُنْسَبُ إِلَى الأَغْيَارِ. (إِعْجَازُ المَسِيحِ)

أَيُّ كُلِّ مَنْ يُحَمِّدُ سِوَى اللَّهِ ﷻ فَهُوَ أَيْضًا بِسَبَبِ اللَّهِ فَقَطْ، إِذْ يُمَدِّحُ غَيْرَ اللَّهِ عَلَى المَحَاسِنِ وَالمَزَايَا الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ لَهُ، وَعَلَى عَمَلِهِ الحَسَنِ الَّذِي عَمِلَهُ لِيَكُونَ مَظْهَرًا لِمِصْطَفَاتِهِ ﷺ، أَوْ قَدْ صَدَرَ مِنْهُ ذَلِكَ العَمَلُ نَتِيجَةً تَأْثِيرَ رَحْمَانِيَةِ اللَّهِ أَوْ رَحِيمِيَتِهِ فِيهِ، فَصَارَ جَدِيرًا بِأَنْ يَمْدَحَهُ شَخْصٌ أَحْسَنُ إِلَيْهِ. فَأَسَاسُ كُلِّ عَمَلٍ الإِنْسَانِ فِي هَذَا العَالَمِ، وَحَيْثُمَا يُوَفَّقُ الإِنْسَانُ لِعَمَلٍ مَا فَإِنَّمَا بِتَوْفِيقِ الإِلَهِيِّ، فَيَعُودُ الحَمْدُ أَخِيرًا إِلَى اللَّهِ.

وَفِي هَذَا الخِصُوصِ يَتَابَعُ العَلَمِيُّ قَائِلًا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَى الجَمِيلِ لِلْمُقْتَدِرِ النَّبِيلِ عَلَى قِصْدِ التَّبَجِيلِ، وَالكَامِلِ التَّامِ مِنْ أَفْرَادِهِ مَخْتَصٌّ بِالرَّبِّ الجَلِيلِ، وَكُلِّ حَمْدٍ مِنَ الكَثِيرِ وَالقَلِيلِ، يَرْجَعُ إِلَى رَبِّنَا الَّذِي هُوَ هَادِي الضَّالِّ وَمُعِزُّ الذَّلِيلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ المَحْمُودِينَ. (أَيُّ إِنْ الذِّينَ يُحَمِّدُونَ هُمُ الأُخْرُونَ يَحَمِّدُونَهُ ﷺ) (كَرَامَاتُ الصَّادِقِينَ)

فإِلَيْهِ يَرْجَعُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا قُلْتُ، فَقَدْ قَالَ إِنَّهُ يَهْدِي الضَّالِّينَ، فَهُوَ حِينَ يَهْدِي الضَّالِّينَ فَالمُهْتَدِي سُنِّيْبٍ إِلَى اللَّهِ أَخِيرًا وَيَحْمَدُهُ. فَأَرَادَ النَّاسَ فِي نَظَرِ أَهْلِ الدُّنْيَا يَنَالُونَ الشَّرْفَ وَالعِزَّ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا هِيَ سَنَةُ أَعْدَاءِ الأنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِحَقِّ أَتْبَاعِ الأنْبِيَاءِ ﴿هُمُ أَرَادُوا بِأَدْيِ الرَّأْيِ﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَبْدِلُ الأَوْضَاعَ فَجَاءَ فَيَجْعَلُ فَرَعُونَ نَفْسَهُ يَسْتَجِدِّي حَيَاتِهِ، كَمَا سَأَلَ زَعَمَاءُ مَكَّةَ الأَمَانَ لِأَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ هَذَا الأَمْرُ يَلْفَتُ انْتِبَاهَ المُؤْمِنِينَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الحَمْدِ الحَقِيقِيِّ وَبِمَكَّنِهِمْ مِنْ إدْرَاكِهِ. وَكَذَلِكَ فِي هَذَا الزَّمَنِ فَالَّذِينَ يَعُدُّونَ أَفْرَادَ الجَمَاعَةِ مَهَانِينَ وَلا مَكَانَةَ

لهم في المجتمع، ويقولون إنهم أذلاء وسوف نفعل بهم كذا ونعاملهم بكذا؛ فإن الله ﷻ يُري قدرته بانتظام مقابل كل هذا وذاك لكنه سيأتي زمن يقضى فيه على كل هؤلاء.

والمخلص أن في حمد الله إشارة أيضا إلى أنه ﷻ قد حُمد حمدا كاملا، وهو يَحمد أيضا على وجه الكمال، وإن حمد الله ﷻ هو مصدر كل شرف وعزّ. ومن واجب كل مؤمن أن يلوذ بالله بإدراك هذا الحمد. يزيد سيدنا المسيح الموعود ﷺ في تفسير "الحمد" شارحا لماذا بدأ الله ﷻ القرآن الكريم بالحمد والحكمة في ذلك فيقول: وإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد يُحيط عليهما بالاستيفاء، وقد ناب منابهما مع الزيادة في الرِّفاء وفي التزيين والتحسين. (أي إن هذه الكلمة تشمل الجمال والحسن والإصلاح أيضا) ولأن الكُفّار كانوا يحمدون طواغيتهم بغير حق (أي كانوا يذكرونها بفخر كبير)، ويؤثرون لفظ الحمد لمدحهم ويعتقدون أنهم منبع المواهب والجوائز ومن الجوّادين؛ وكذلك كان موتاهم يُحمدون عند تعديد النوادب، بل في الميادين والمآدب، كحمد الله الرازق المتولي الضمين؛ فهذا ردُّ عليهم وعلى كل من أشرك بالله وذكرٌ للمتوسّمين. وفي ذلك يلوم الله تعالى عبدة الأوثان واليهود والنصارى وكل من كان من المشركين. فكأنه يقول أيها المشركون.. لِمَ تحمدون شركاءكم وتُطْرُون كبراءكم؟ أهما أربابكم الذين ربّوكم وأبناءكم؟ أم هم الراحمون الذين يرحمونكم ويردّون بلاءكم، ويدفعون ما ساءكم وضراءكم، ويحفظون خيرا جاءكم، ويرحّضون عنكم قَسَفَ الشدائد ويداؤون داءكم، أم هم مالكُ يوم الدين؟ بل الله يُرَبِّي ويرحم

بتكميل الرفاء، وعطاء أسباب الاهتداء، واستجابة الدعاء، والتنجية من الأعداء، وسيعطي أجر العاملين الصالحين. (كرامات الصادقين)

ثم يقول موضّحاً بأن إلهنا إله كامل وهو يستحق الصفات الكاملة وحائز على جميع أنواع المحامد، فيقول سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ: ومع ذلك فيه إشارة إلى أنه مَنْ هَلَكَ بخطاه في أمر معرفة الله تعالى، أو اتخذ إلهاً غيره، فقد هلك من رَفُضِ رعاية كمالاته وترك التأنق في عجائباته، والغفلة عما يليق بذاته، كما هو عادة المبطلين. (أي من لم يُفِزْ بمعرفة الله فقد هلك، ومن اتخذ إلهاً آخر وعدَّ أحد الناس حائزاً على كمالات الله، فقد اختفى عن نظره شأنُ الله، كذلك من جعل أحداً من الناس مقابل الله فسوف يؤدي ذلك إلى هلاكه) ألا تنظر إلى النصارى أنهم دُعاوا إلى التوحيد، فما أهلكهم إلا هذه العلة، وسوّلت لهم النفس المضلّة، والشهوة المُرّة، أن اتخذوا عبداً إلهاً، وارتضعوا عُقار الضلالة والجهالة، ونسوا كمال الله تعالى وما يجب لذاته، ونحتوا لله البنات والبنين. ولو أنهم أمعنوا أنظارهم في صفات الله تعالى وما يليق له من الكمالات لما أخطأ تَوْسُمُهُم وما كانوا من الهالكين. فأشار الله تعالى ههنا أن القانون العاصم من الخطأ في معرفة البارئ عز اسمه إمعان النظر في كمالاته، وتتبع صفات تليق بذاته (أي ينبغي إدراك صفاته سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وتحرّيه)، وتذكّر ما هو أولى من جدوى، وأحرى من عدوى (أي يردّد ذكره)، وتصوّر ما أثبت بأفعاله من قوّته وحوله وقهره وطوّله، فاحفظه ولا تكن من اللافتين. واعلم أن الربوبية كلها لله، والرحمانية كلها لله، والرحيمية كلها لله، والحكم في يوم المجازاة كله لله، فأياك وتأييك من مطاوعة مُرَبِّيك، وكُنْ من المسلمين الموحّدين. وأشار في الآية إلى أنه تعالى مُرّه من

تجدد صفة، وحؤول حالة، ولحوق وصمة، وحور بعد كور، (أي لا يمكن أن يحدث فيه أي نقص فهو جامع المحاسن فلا يقال إنه كان يحوز على صفة فتحسنت) بل قد ثبت الحمد له أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، إلى أبد الأبدین. ومن قال خلاف ذلك فقد أحرورف وكان من الكافرين. (كرامات الصادقين)

فإن الله ﷻ منزه عن جميع النقائص والعيوب، وإن الذي لا يدرك صفاته إدراكاً صحيحاً فهو يسقط في هوة الهلاك، فالأقوام السابقة كلها هلكت لأنها لم تعرف صفات الله وأشركوا، وإذا كانوا عرفوها فنسوه. ثم يقول موضحاً إن المسلمين قد علموا أن إلههم حائز على كل أنواع الحمد: "وفي لفظ الحمد لله تعليم للمسلمين أنهم إذا سئلوا وقيل لهم من إلهكم.. فوجب على المسلم أن يجيبه أن إلهي الذي له الحمد كله، وما من نوع كمال وقدرة إلا وله ثابت، فلا تكن من الناسين". (كرامات الصادقين)

فلا يكفي الإعلان باللسان بأن الحمد لله، إذ ينبغي الالتفات عند قول "الحمد لله" إلى أن لي إلهاً واحداً، أعبده، وإنما أعبده لأنه ربي وإلهي، ثم يقول عليه السلام: وقد بدئت هذه السورة بـ الحمد لله، التي تعني أن كل أنواع الحمد والثناء يليق بمن يسمي "الله". وقد بدئت بجملة "الحمد لله" للتبنيه بأن الهدف الحقيقي أن يُعبد الله بحماس الروح وانجذاب الطبع، وهذا الانجذاب الفياض بالعشق والحب لا يتأتى بحق أحد ما لم يثبت أنه جامع لهذه المحاسن الكاملة التي حين يلاحظها القلب ينصرف إلى حمده والثناء عليه تلقائياً. فالبدیهي أن الحمد الكامل ينشأ من نوعين من المحاسن، أحدهما كمال الحسن والثاني كمال

الإحسان، (أي إذا كان أحد يتمتع بجمال فيحمد أو يحمد المرء من أحسن إليه) وإذا اجتمعا في أحد فإن القلب يكون فداء له ويُستهام به، وإن أكبر غاية للقرآن الكريم هي أن يجلي على طلاب الحق نوعي حُسن الله كليهما، لينحذب الناس إلى ذلك الفذ الذي ليس كمثلته شيء، ويعبدوه بحماس الروح وانجذابها. لهذا قد أراد أن يرسم الصورة اللطيفة في أولى السور أن الله الذي يدعو إليه القرآن الكريم كم يجوز من الصفات. ولهذا السبب ابُتدئت هذه السورة بـ الحمد لله مما يعني أن جميع أنواع المحامد تليق بمن يسمى الله. (أيام الصلح)

فالذات الإلهي جامع للحسن والإحسان ولهذا بُدئ بالحمد لله، ثم بيّن التَّكْوِينُ بوضوح في موضع آخر ما هو حسن الله وما إحسانه، لكنه موضوع مستقل. هنا أريد أن أثيركم بإيجاز أن حسن الله ﷻ هو أنه حائز على جميع أنواع المحامد، كما سبق أنه جامع جميع الصفات الكاملة، وحائز على جميع الصفات، أما إحسانه فقد بين سيدنا المسيح الموعود ﷺ لبيانه أربعة مبادئ بارزة بحسب هذه السورة، وأخصها لكم.

إحسانه الأول أنه ربُّ، أي يخلق الخلق ويربيه ليوصله إلى غايته المتوخاة. والإحسان الثاني هو رحمانيته التي بموجبها قد وهب القدرات لكل ذي حياة، وهياً له وسائل البقاء بحسب حاجاته، ووهب للإنسان حظاً أكبر منها، أما الإحسان الثالث فرحيميته بحيث يتقبل الدعاء والأعمال الصالحة ويجزي عليها ويحمي من الآفات والبلايا، أما الإحسان الرابع فهو مالكيته يوم الدين التي بموجبها يمن بأفضاله الخاصة فيهب من يشاء قدر ما يشاء وكيفما يشاء، ويشمر

الأعمال بفضله. فهذه هي الإحسانات الأربعة التي بينها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لخصتها لكم.

ثم يقول عليه السلام موضِّحاً أن في "رب العالمين" إشارة إلى أن الله تعالى يأتي بالهدى بعد كل ضلال:

"وأشار الله سبحانه في قوله: "رَبِّ الْعَالَمِينَ" إلى أنه هو خالقُ كل شيءٍ ومنه كلُّ ما في السماوات والأرضين. ومن العالمين ما يوجد في الأرضين من زمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالمُ الضلال والكفر والفسق وترك الاعتدال، حتى يُملأ الأرضُ ظلمًا وجورًا ويترك الناس طرُقَ الله ذي الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حقَّ الربوبية. (أي لا يؤدّون حقَّ العبودية ولا ينتبهون إلى حقيقتها ولا يؤدّون حقَّ ربوبية الله) فيصير الزمان كالليلة الليلية، ويُداسُ الدين تحت هذه اللاأواء. ثم يأتي الله بعالمٍ آخر فتُبدلُ الأرضُ غيرَ الأرض وينزل القضاء مُبدلاً من السماء، ويُعطى للناس قلبٌ عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمَمَورٍ مُعبَّدٍ لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفاً ورجاءً بطرفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِلٍ نحو قبلة الاستجداء، وهمّة في العبودية قارعة ذروة العلاء."

هنا يقول عليه السلام: "... ثم يأتي الله بعالمٍ آخر فتُبدلُ الأرضُ غيرَ الأرض". وقد تلقى المسيح الموعود عليه السلام إلهاماً أيضاً إذ رأى في الكشف أنه يقول بأني خلقتُ أرضاً جديدةً وسماً جديدةً، ثم قلتُ: تعالوا الآن نخلق الإنسان. لقد أثار المشايخ ضجة كبيرة حين قال عليه السلام ذلك، وقالوا: انظروا، لقد ادّعى الألوهية. فقال المسيح الموعود عليه السلام بأنه ليس ادّعاء الألوهية بل المراد هو أن

الله تعالى سيحدث على يدي تعغيراً عظيماً وكان السماء والأرض ستصبح سماء جديدة وأرضاً جديدة وسيتحول الناس إلى أناس حقيقيين يعبدونه مخلصين له ويؤدون حق العبودية ويعرفون الله تعالى حق المعرفة. فيقول عليه السلام: "يأتونه خوفاً ورجاءً بطرفٍ مغضوضٍ من الحياء، ووجهٍ مُقبِلٍ نحو قبلة الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذروة العلاء. (أي يتوجهون إلى العبودية التي تليق بالإنسان ويؤدون حقها كاملاً، ففي هذه الأوقات تكون الحاجة إليهم ملحّة) ويشتدّ الحاجة إليهم إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ من تعغيرِ الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلق في السماء ما يدفع الظلام، ويهدم ما عمر إبليسُ وما أقام، من الأبنية والحيام. فينزل إمامٌ من الرحمن، ليذُبَّ جنودَ الشيطان. (كما قلت قبل قليل بأن المسيح الموعود تلقى إلهاماً أو رأى في الكشف) ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، (أي جند الشيطان وجند الرحمن يتحاربان) ولا يراهم إلا من أُعطي له عينان، (الذي ينظر ببصيرة يمكن أن يرى، كما يرى مَنْ يؤدي حق عبودية الله) حتى غلَّ أعناقُ الأباطيل، وانعدمَ ما يُرى لها نوعٌ سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهراً على العدا، ناصراً لمن اهتدى، مُعلياً معالم الهدى، مُحبيّاً مواسمَ التّقى، (أي يبدلون معظم أوقاتهم في أمور الورع والحسنة والتقوى، ويعقدون مجالس ذكر الله تعالى ولعبادته وتُذكر صفاته عليه السلام) حتى يعلم الناس أنه أسَرَ طواغيتَ الكفر وشدَّ وثاقها، وأخذ سباع الأكاذيب وغلَّ أعناقها، وهدمَ عمارة البدعات وقوّض قبابها، وجمّع كلمة الإيمان ونظّم أسبابها، وقوّى السّلطنة السماوية وسدَّ الثغور."

فإننا نستفيد اليوم من الأرض الجديدة والسماء الجديدة التي خلقت بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، فعلينا أن نركز بوجه خاص إلى اجتناب البدعات وتقوية إيماننا وأن نسعى جاهدين لأداء حق عبادة الله، ويجب أن نعرف أساليب ربوبيته حق المعرفة.. عندها فقط نستطيع أن نستفيد من السماء الجديدة والأرض الجديدة. ثم يوضح عليه السلام أن الإنسان عندما يعرف الله تعالى حق المعرفة ويصل إلى معايير عليا لعبادته.. عندها فقط يعرف رب العالمين حق المعرفة، حتى يتميز عن الآخرين. فيقول عليه السلام في شرح ذلك:

"وأشار الله سبحانه في قوله: "رَبِّ الْعَالَمِينَ". فهو الذي يُحمد في السماوات والأرض، ويمجده الحامدون دائما وينهمكون في ذكره، وما من شيء إلا ويمجده ويسبحه. وعندما يخلع العبد لباس أنانيته ويتخلى عن أهوائه ويفني في سبيله وعبادته، ويعرف ربه الذي رباه بالطفاه، فيحمده في كل الأوقات، ويحبه ويمجده بكل قلبه بل بكل ذرات وجوده، عندئذ يصبح هذا الشخص عالما من العالمين." ثم يضرب عليه السلام أمثلة على ذلك ويقول بأن أحد العالمين من تلك العالمين هو عالم بُعث فيه سيدنا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. ثم ضرب عليه السلام مثل زمنه هو وقال بأن الله تعالى رحم الباحثين عنه وخلق حزبا هو حزب المسيح الموعود والمهدي المعهود. فعندما اتمينا إلى هذا المرسل من رب العالمين فيجب أن تكون أولياتنا ابتغاءَ مرضاة الله لنكون جزءا من ذلك العالم. وعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في ذلك لننال فيضا من رب العالمين. ثم يوضح عليه السلام ما يشمله "العالمين" وما هو تعريف العالمين فيقول:

"وعرفت أن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله خالق الأنام، سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، وسواء كان من مخلوق الأرض أو كالشمس والقمر وغيرهما من الأجرام. فكل من العالمين داخل تحت ربوبية الحضرة."

فما دام كل شيء يستفيد من ربوبية الله، ونعلم أيضا على وجه اليقين بأن الله تعالى هو رب العالمين ومع ذلك يتخذ العبد أحيانا عبادا آخرين أربابا ورازقين. ففي بعض الأحيان تغلبه المادية بسبب تأثير المجتمع. وإذا حدث ذلك يجب على المؤمن أن يحاسب نفسه فوراً ويستغفر الله ويتوب بكثرة ويعود إلى رب العالمين دون تأخير لنستفيد من الأرض الجديدة التي نسكنها ومن السماء الجديدة التي تظننا بسقفها. ثم وضح عليه السلام بأن الله تعالى يسد حاجاتنا الروحية أيضا إلى جانب الحاجات المادية فيقول في شرح كلمة "رب العالمين":

"إن الله تعالى إله العالم كله، وكما خلق المواد والأسباب لسد الحاجات الجسدية لكل المخلوقات، مشتركة بين الجميع دون التمييز بين الخلق وهو رب العالمين بحسب مبدئنا، وقد خلق الغلال والهواء والماء والضوء وغيرها من الأمور لكافة المخلوقات كذلك ظل يرسل المصلحين بين حين وآخر في كل زمان لإصلاح كل قوم. فيقول تعالى. ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾".

فكما ظل الله يرسل المرسلين من قبل كذلك أرسل في هذا العصر أيضا، ثم يوضح عليه السلام كلمة رب العالمين من منطلق أن فيضه ليس خاصا بقوم دون قوم فيقول:

"لقد استهل الله تعالى القرآن الكريم بآية سورة الفاتحة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.. أي أن الله تعالى يملك جميع الصفات الكاملة والطيبة. إن كلمة "العالم" تشمل الأقوام المختلفة والأزمنة المختلفة والبلاد المختلفة أيضا. وفي استهلال القرآن الكريم بهذه الآية تفنيد الأقوام التي تعتبر ربوبية الله العامة وفضله العميم مقتصرًا على قومهم فقط ويظنون الأقوام الآخرين وكأنهم ليسوا عباد الله، وكأن الله خلقهم ثم رامهم كشيء رديء أو نسيهم، أو ليسوا من خلقه أصلا والعباد بالله."

فكما يهيب رب العالمين أسبابا لتربية الإنسان المادية كذلك يهيئها لتربيته الروحانية أيضا. هذه هي ربوبيته، والذي ينكرها فكأنه ينكر صفة الله "الربوبية". فالذين يقرأون سورة الفاتحة في هذا العصر ومع ذلك ينكرون المسيح الموعود عليهم أن يفكروا في الموضوع جيدا. كذلك يجب علينا نحن أيضا أن نفكر جيدا بعد بيعة المسيح الموعود عليه السلام وأن نبذل قصارى جهدنا للتقدم في الروحانية والتقوى. ثم يقول عليه السلام:

"في لفظ "الحمد" إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وتعرفوني بكمالاتي، فإني لست كالناقصين، بل يزيد حمدي على إطراء الحامدين، ولن تجد محامداً لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي، وإن أردت إحصاء محامدي فلن تحصيها، وإن فكرت بشقّ نفسك وكلفت فيها كالمستغرقين. فانظر هل ترى من حمد لا يوجد في ذاتي؟ وهل تجد من كمال بُعد مني ومن حضرتي؟ فإن زعمت كذلك فما عرفتني وأنت من قوم عمين. بل إنني أعرف محامدي وكمالاتي، ويُرى وابلي

بِسُحْبِ بَرَكَاتِي، فالذين حسبوني مستجمعَ جميعِ صفاتِ كاملةٍ وكمالاتِ شاملةٍ، وما وجدوا من كمالٍ وما رأوا من جلالٍ إلى جولانٍ خيالٍ، إلا ونسبوها إليّ، وعزوا إليّ كلَّ عظمةٍ ظهرت في عقولهم وأنظارهم، وكلَّ قدرةٍ تراءت أمام أفكارهم، فهم قوم يمشون على طرق معرفتي، والحق معهم وأولئك من الفائزين.

فقوموا، عافاكم الله، واستقرئوا محامده عزَّ اسمه، وانظروا وأمعنوا فيها كالأكياس والمتفكرين. واستنفضوا واستشفيوا أنظاركم إلى كلِّ جهةٍ كمالٍ وتَحَسَّسوا منه في قَيْضِ العالمِ ومُحِّه، كما يتحسس الحريص أمانيه بشُحِّه، فإذا وجدتم كماله التام وريّاه، فإذا هو إيّاه، وهذا سرٌّ لا يبدو إلا على المسترشدين. فذلكم ربكم ومولاكم الكامل المستجمع لجميع الصفات الكاملة، والمحامد التامة الشاملة، ولا يعرفه إلا من تدبر في الفاتحة، واستعان بقلب حزين. وإن الذين يُخلصون مع الله نيةَ العقد، ويعطونه صفقةَ العهد، ويُطهِّرون أنفسهم من الضغن والحقْد، تُفتح عليهم أبوابها فإذا هم من المبصرين."

وكما قلتُ من قبل، إن هذا هو المقام الذي يجب علينا أن نصبو إليه ونصله بعد أن دخلنا في بيعة المسيح الموعود عليه السلام. واعلموا أننا لن نكون موفقين في التدبر في سورة الفاتحة وسائر القرآن الكريم إلا باتِّباع القواعد التي بيّنها سيدنا المسيحُ الموعود عليه السلام لذلك. أسأل الله تعالى لنا التوفيق لإدراك صفاته وصياغة حياتنا وفق أحكامه تعالى كما تمنى المسيح الموعود عليه السلام وتوقَّع منا.

بعد صلاة الجمعة سوف أصلي الجنازة على سيديتين من سيدات الجماعة. والجنازة الأولى هي للسيدة "فتح بيغم" زوجة الداعية مولانا أحمد خان نسيم

المرحوم، الناظر الإضافي للإصلاح والإرشاد في ربوة. لقد تُوفِّيَ المرحوم أحمدُ خان نسيم منذ مدة طويلة، أما زوجته فقد توفيت في ٤ من شهر فبراير. إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت سيدة صالحة جداً، تقيّة، كثيرة الدعاء، مواظبةً على الصلوات الخمس والتهجد، وشديدة الوفاء والولاء. كانت تقوم بتلاوة القرآن الكريم يومياً بلا انقطاع. كان زوجها - كما قلت آنفاً- مولانا أحمد خان نسيم ناظرًا إضافيًا للإصلاح والإرشاد بربوة. ولما كانت معظم فروع الجماعة التي كان مشرفاً عليها تقع في القرى، وكانت محافظتها "جنغ" و"سرجودها" قريتين من ربوة، فكان الأحمديون فيهما يأتون إلى ربوة بكثرة، وكانوا يعدّون بيت مولانا أحمد خان نسيم بيتاً لهم. وقد كتب لي أحد أبناء المرحومة أنه في بعض الأحيان كانت قافلة من خمسين رجلاً وامرأةً من جماعات مختلفة تأتي بيتنا، فكانت أمنا تقدّم لهم الضيافة ببشاشة تامة. كانوا يأتون فحأةً ومن دون موعد- كما هو المعروف في مجتمعنا ولا سيما في القرى- فكانت أمنا تجهّز لهم على الفور طعاماً ساخناً، بدون أن تتذمر أو تشتكي قائلة: لماذا جاء هؤلاء هكذا! ولما كان الضيوف قد صاروا على صلة بأهل هذا البيت، فقد حافظت المرحومة على هذه العلاقة بعد وفاة زوجها أيضاً، فطلت تستقبل الضيوف في بيتها كالسابق.

كانت تعتنى بالفقراء كثيراً. لم تأخذ من أولادها شيئاً، ولكنها كانت توصيهم دائماً بمساعدة الفقراء. كانت توزّع على الفقراء والمحتاجين واليتامي كلّ ما يقع في يدها. يقال كان بيتها مزاراً للفقراء دونما انقطاع. كما كانت تستقبل وتواسي النسوة ذوات المصائب والآلام بكثرة. ولكن أكبر محاسنها

أنها كانت شديدة الولاء للخلافة. كانت توصي أولادها بذلك، كما كانت تسعى لخلق حُبِّ الخلافة في قلوبهم. كانت منخرطة في نظام الوصية. غفر الله لها ورفع درجاتها.

لقد تركت وراءها ثلاث بنات وثلاثة أبناء كان أحدهم معها (في باكستان)، واثنان منهم مقيمان في الخارج وهما السيد ناصر بروازي المحترم والسيد نسيم مهدي المحترم وهو داعيتنا في أميركا. لم يستطع السيد بروازي ولا السيد نسيم مهدي حضور جنازتها لبعض الأسباب. ألهمهم الله جميعاً الصبر والسلوان، وأورثهم أدعيتها. لا شك أن أدعيتها قد نفعت داعيتنا نسيم مهدي المحترم كثيراً في مجال عمله، وأدعو الله تعالى أن يورثه أدعيتها في المستقبل أيضاً.

والجنازة الثانية هي للسيدة "حاکم بي بي" زوجة السيد غلام رسول المرحوم الذي كان أحد معلمينا في مكتب الإصلاح والإرشاد. لقد تُوفيت في التاسع من شهر فبراير عن عمر يناهز مئة عام. إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت سالحة جداً، كثيرة الدعاء ومتوكله على الله تعالى. لقد عاشت مع زوجها بوفاء عظيم في ضيق شديد. كانت عزيزة النفس، لم تمدّ يدها إلى أحد حتى في الضيق الشديد جداً. كانت تلبس جيداً مع قصر يدها. كانت اقتصادية تدبّر الكثير بالقليل من المال. لقد عاشت ٢٨ عاماً في قرية "رسول نغر" التي كانت مركزاً لشتى فروع الجماعة هناك، وكان الضيوف من ربوة يحضرون هناك، وكان بيتها دار ضيافة لهم، فكانت تقدم لهم الضيافة ببشاشة قلبية.

في أيام فتن ١٩٧٤ لم يكن زوجها في البيت وإنما كانت تعيش مع بعض الأطفال والنساء، فكانت تقوم بحراسة بيتها طول الليل جالسةً على سرير وحاملةً السلاح الموجود في البيت.

كانت شديد الغيرة على دينها وجماعتها. في أيام تلك المفسدة أشار عليها البعض بإزالة لافتة المكتبة الأحمدية الموجودة بجوار بيتها، إذ كان مكتوباً عليها بعض أقوال المسيح الموعود عليه السلام، فقالت: كلا، بل يجب أن تبقى اللافتة كما هي، ولن نزيلها بأيدينا خوفاً من أحد.

وَقَّعها الله تعالى لخدمة الجماعة بصفقتها رئيسةً "لجنة إماء الله" وسكرتيرةً لها من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٧٥. لقد علّمت الأطفال والبنات من الأحمديين وغير الأحمديين القرآن الكريم. كانت توصي بالاعتصام بنظام الجماعة ونظام الخلافة بوجه خاص. لها ثلاثة أبناء وبنات. أحد أبنائها هو السيد مبارك أحمد ظفر، الذي نذر حياته لخدمة الإسلام، ويعمل وكيلاً إضافياً للمال في لندن. وابنها الثاني هو السيد مبشر أحمد ظفر، وهو أيضاً قد نذر حياته في سبيل الإسلام بعد أن تقاعده من عمله. ألهم الله ذوبها جميعاً الصبر والسلوان، ورفع درجاتها. وكما قلتُ آنفاً، سوف نصليّ عليهما الجنازة بعد أداء الصلوات.

